منهجُ الحوارِ وأهدافُهُ

الحوارُ في حدِّ ذاتِهِ مطلبٌ حيويٌّ، وضرورةٌ قُصوَى، لتصحيحِ هذه المفاهيمِ التي يَتَّهِمُ الغربُ الإسلامَ والمسلمينَ بها، من قبيلِ: أنَّه الدِّينُ الذي يدعو إلى القتلِ والاغتيالِ تحتَ شِعارِ «الجهادِ»، وأنَّه الدِّينُ الذي يرفضُ معتنقُوهُ التَّعايشَ معَ «الآخر»، فالمسلمُ في ساحةِ التَّعاملِ مع الآخرِ إمَّا قاتلٌ أو مقتولٌ، وأنَّ المسلمينَ -وخاصَّةً العربَ- شعوبٌ مُتَخَلِّفةٌ، لا يدركونَ للتَّقدُّمِ معنًى، ولا يعرفونَ أُسسَ الحضارةِ في السُّلوكِ والقيمِ؛ لأنَّهم مرتبطونَ بالإسلامِ؛ ذلك الدِّينُ القائمُ على الهمجيَّةِ في التَّفكيرِ والسُّلوكِ، ومعاداةِ التَّقدُّمِ العلميِّ في أيِّ مجالٍ، فهو دينُ الجمودِ والارتباطِ بالماضي، والاستهانةِ بالحاضِرِ، وتَجَاهُلِ المستقبلِ! كلُّ هذا يحتاجُ من المسلمينَ إلى بذلِ الجُهدِ لتصحيحِ هذه المفاهيمِ، ولعرضِ التَّعاليمِ الإسلاميَّةِ الصحيحةِ في ثوبِهَا الأبيضِ النَّاصِعِ، بعيدًا عن تشنُّجَاتِ المتشددينَ، وشطحاتِ المتطرفينَ، وسلوكياتِ الجاهلينَ.

ولكن قبلَ أن نخوضَ فيما يجبُ أن يكونَ عليه الحوارُ مع «الآخرِ»، ونرسُمَ موضوعاتِهِ، ونُوَضِّحَ أهدافَهُ، يجبُ أن نُرَكِّزَ أوَّلًا على الحوارِ مع النَّفسِ، ونقصدُ به الحوارَ مع رموزِ التَّياراتِ والمذاهبِ الإسلاميَّةِ داخلَ المجتمعاتِ الإسلاميَّةِ، حتَّى يُمكننَا أن نُرَتِّبَ البيتَ من الدَّاخلِ قبلَ الحديثِ مع «الآخرِ»؛ ذلك أنَّنا نُواجَهُ دائمًا في لقاءاتٍ عديدةٍ بسؤالٍ يكادُ يكونُ بألفاظٍ واحدةٍ، ألَا وهو: عن أيِّ إسلامٍ تتحدثونَ؟ عن الإسلامِ الشِّيعيِّ أم السُّنِّيِّ؟ عن التَّيارِ السَّلفيِّ، أم عن تيارِ المجددينَ؟ عن مفهومِ طالبان أم عن تَصَوُّرِ تنظيمِ القاعدةِ، وجبهةِ الإنقاذِ الجزائريِّ، وجماعةِ التَّكفيرِ والهجرةِ، وأمثالِهَا؟ عن المتمسكينَ بظاهرِ النُّصوصِ المنكفئينَ على الماضِي، أم عن العقلانيينَ المُتَّهمين من السَّلفيينَ بالزَّندقةِ؛ لأنَّهم يحاولونَ التَّوفيقَ بين النُّصوصِ المُقَدَّسةِ ومُعطياتِ العصرِ، ومُتَطلباتِ الحضارةِ الحديثةِ؟

ومما لاشكَّ فيه أنَّ تصحيحَ هذه المفاهيمِ التي عَلَقَت بذهنِ «الآخر» نتيجةَ التَّمزُّقِ والتَّفرُّقِ في ساحةِ الفكرِ الإسلاميِّ يأخذُ وقتًا طويلًا، وجُهدًا خارقًا، الأمرُ الذي يُحَتِّمُ علينا أن نتحاورَ مع بعضِنَا أوَّلًا، كي نَرسمَ خريطةَ الحوارِ مع «الآخر»، حتَّى ولو لم نصل من هذا إلَّا إلى تحديدِ أهدافِ الحوارِ مع «الآخر».

فتحسينُ الصُّورةِ الإسلاميَّةِ بقدرِ الإمكانِ على السَّاحةِ الدَّوليَّةِ أمرٌ مهمٌّ، خاصَّةً وأنَّنا نملكُ الأُسسَ التي يمكنُ أن نتفقَ عليها، ألَا وهي: القرآنُ الكريمُ، والسُّنَّةُ النَّبويَّةُ الشَّريفةُ، إذ يُمكنُنَا أن نختارَ الآياتِ التي تَرسمُ لنا الأسلوبَ والمنهجَ الذي

نتفقُ عليهِ، مسترشدينَ بقولِهِ تعالى: "وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ .." [الأنفال: ٤٦].

***

منهجُ الحوارِ معَ النَّفسِ

١ - الحوارُ بين السُّنَّةِ والشِّيعةِ ضرورةٌ دينيَّةٌ وحتميَّةٌ قوميَّةٌ.

تُحَتِّمُ الأحداثُ الدَّوليَّةُ على المسلمينَ أن يَتَّحِدُوا، ويقفوا صَفًّا واحدًا؛ السُّنيُّ بجانبِ الشِّيعيِّ، ناسينِ خلافاتِهم، متجاوزينِ تباينَ آرائِهِم في بعضِ المسائلِ التي لا تمسُّ الاعترافَ باللَّهِ ربًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم نبيًّا ورسولًا، وبالقرآنِ الكريمِ -وحيِ اللَّهِ- دستورًا. فالاختلافُ في التَّفسيرِ والتَّأويلِ وقَبولِ بعضِ الأحاديثِ ورفضِ البعضِ الآخرِ يمكنُ التَّجاوزُ عنهُ، وهو لا يفسدُ للوُدِّ قضيَّةً في هذه الظُّروفِ، خاصَّةً وأنَّ الصِّراعَ الدَّوليَّ يُوجِبُ عليهم الوقوفَ صفًّا واحدًا، وإلَّا أُكِلُوا واحدًا بعدَ الآخَرِ، ويومئذٍ ينطبقُ عليهم المثلُ الشَّعبيُّ القائلُ: «أُكِلتُ يومَ أن أُكِلَ الثَّورُ الأبيضُ».

ينبغي أن ندرسَ التَّاريخَ دراسةً جيدةً، فنتعلَّمَ ونُدرِكَ أنَّ من الأسبابِ الرئيسةِ لضياعِ الأندلسِ هو اختلافَ المسلمينَ وتناحرَهُم، وتحالفَ بعضِهم مع العَدُوِّ ضدَّ إخوانِهِم المسلمينَ؛ ممَّا فَتَّتَ قُواهُم، فأصبحوا لُقمةً سائغةً، التهَمَهَا العدوُّ الواحدَ تِلوَ الآخرِ حتَّى استؤصلت شَأفتُهُم من الأندلسِ.

لا نريدُ أن تتكررَ هذه المأساةُ، ولا يحبُ أحدٌ من المسلمينَ أن يرى هذا المشهدَ مرةً أخرى، ولذلك يجبُ أن يتحاورَ أهلُ السُّنَّةِ مع الشِّيعةِ؛ ليصلوا إلى تكوينِ جبهةٍ صلبةٍ، تتمكنُ من مُقاومةِ هذا الزَّحفِ الجارفِ على ديارِ الإسلامِ، الذي لن يُبقِيَ -لا قدَّر اللَّهُ- على سنيٍّ، ولا على شيعيٍّ، فلنبدأ الحوارَ السُّنِّيَّ - الشِّيعيَّ اليومَ قبلَ غدٍ، على أن تشتملَ أجندتُهُ على النِّقاطِ التَّاليةِ:

١ - إحياء لجنةِ التَّقاربِ بين المذاهبِ التي دعا إليها في منتصفِ القرنِ العشرين: الشيخُ محمود شلتوت، وآيةُ اللهِ القمي، بحيثُ يكونُ نشاطُهَا:

- إبراز مسائلِ الاتِّفاقِ في الفقهِ والتَّفسيرِ والحديثِ، في صورةِ كُتبٍ وأبحاثٍ تُنشَرُ بين أنصارِ الطَّائفتَينِ؛ لخَلقِ وعيٍ عامٍّ بضرورةِ الوقوفِ جبهةً واحدةً أمامَ الأخطارِ الخارجيَّةِ.

- الدعوة إلى نسيانِ الماضي بما فيهِ من أحقادٍ وكراهيةٍ بين التَّيارينِ.

- التَّركيز على وجوبِ التَّعاونِ والوَحدةِ بين الفريقينِ، كي يستطيعوا مواجهةَ الهجماتِ الشَّرسةِ التي يتعرضونَ لها من مُختَلَفِ القُوى العالميَّةِ.

٢- عقد اتفاقاتٍ ثقافيَّةٍ بين الجامعاتِ الإسلاميَّةِ في المجتمعاتِ الشِّيعيَّةِ ونظيرتِهَا في المجتمعاتِ السُّنِّيَّةِ؛ لتبادلِ المِنحِ الطُّلابيَّةِ، حتَّى يَتَخَرَّجَ جِيلٌ يعرفُ كلّ ما عندَ الآخَرِ من تفسيراتٍ وتأويلاتٍ للنُّصوصِ الدِّينيَّةِ، وكذلك لتبادلِ زياراتِ الأساتذةِ والباحثينَ لخَلقِ جَوٍّ علميٍّ أكاديميٍّ بين الفريقَينِ، بعيدًا عن المزايداتِ المذهبيَّةِ، والانفعالاتِ الوجْدَانيَّةِ.
٣- عقد ندواتٍ ومؤتمراتٍ للحوارِ بين الجانبينِ، يُرَكَّزُ فيها على التَّواصُلِ والتَّعاونِ، ويُعلَنُ فيها أن كلًّا يَعتَرِفُ بالآخَرِ، ويحترِمُ رأيَهُ حتَّى يكونَ دافعًا لأصحابِ القرارِ على اتِّخاذِ ما يلزمُ للتَّقارُبِ والتَّعاونِ على المستوياتِ: الاقتصاديَّةِ، والسِّياسيَّةِ، والاجتماعيَّةِ، كي يظهرَ المسلمونَ أمامَ العالَمِ بأنَّهم جبهةٌ واحدةٌ، وأنَّهُم يتعاملونَ معَ بعضِهِم بأسلوبٍ حضاريٍّ دعا إليه الإسلامُ، وإن اختلفت وِجهاتُ نظرِهِم في تفسيرِ وتأويلِ النُّصوصِ المُقَدَّسَةِ. وممَّا لاشكَّ فيه أنَّه إن حدَثَ هذا ستكونُ له آثارٌ بعيدةُ المَدَى في مجالِ الحوارِ الدِّينيِّ مع غيرِ المسلمينَ على المستوى الإقليميِّ والدَّوليِّ.
٤- تدريس المذاهبِ الإسلاميَّةِ - الفقهيَّةِ، والكلاميَّةِ، والفلسفيَّةِ، وغيرِهَا - بشُعبَتَيهَا: السُّنِّيِّ والشِّيعيِّ- في كلِّ الجامعاتِ الإسلاميَّةِ.
ولن يتحققَ هذا إلَّا إذا قامَ زُعماءُ المؤسَّساتِ الدِّينيَّةِ، وعلى رأسِهِم - بل وفي مقدِّمَتِهِم- شيخُ الأزهَرِ بمبادرةٍ تجمعُ زُعماءَ الطائفتينِ -الشِّيعةِ والسُّنَّةِ- في العِراقِ على مائدةِ المفاوضاتِ، بحيثُ تَرتَكِزُ على الأسسِ التَّاليةِ:
* نسيانِ الماضي وتجاوزِ ما حدثَ من مواجهاتٍ عَبرَ التَّاريخِ الإسلاميِّ.
* جَمعِ الطَّائفتينِ حولَ هذه المبادئِ:
- الإيمانِ باللَّهِ الواحدِ.
- التَّصديقِ برسالةِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم.
- الإيمانِ بنصوصِ القرآنِ الكريمِ، بل بكلِّ حرفٍ من حرُوفِهِ.
- قَبُولِ السُّنَّةِ العمليَّةِ، والأحاديثِ المتواترةِ.
هذه هي الأصولُ التي تجمعُ الطَّوائفَ الإسلاميَّةَ كلَّهَا، وما عدا هذا من تفسيرٍ لنصوصِ القرآنِ الكريمِ وفهمِهِ، واستنتاجٍ للأحكامِ الشَّرعيَّةِ، وتَنَوُّعٍ في قَبولِ الحديثِ ورفضِهِ على أساسِ الشَّكِّ في صحةِ نسبتِهِ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، فهو خلافٌ في الفروعِ، لا يُفسِدُ للوُدِّ قضيَّةً.
فإذا لم يقم زُعماءُ المؤسَّساتِ الدينيَّةِ بهذا الواجبِ، فهم مُفَرِّطُونَ في الالتزامِ بتعاليمِ القرآنِ الكريمِ التي نصَّ عليها قولُهُ تَعَالَى: " وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ

تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(10) " [الحجرات: ٩-١٠].

وليتذكر المسلمونَ ما حدثَ لإخوانِهم في الأندلسِ، حيثُ كان الأخوان يتقاتَلانِ، وكانَ يستعينُ أحدُهما بالعدوِّ -بل كان العدوُّ هو الذي يشجعُهُ على ذلك- على أخيه، حتَّى أكلَهُ العدوُّ هو بعد القضاءِ على أخيهِ؛ مما أضاعَ سُلطانَ المسلمين كلِّهم في الأندلسِ، واندثَرَ ملكُهُم، فما أشبَهَ الليلةَ بالبارحةِ، وصدقَ اللَّه تعالى إذ يقولُ: "وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ .." [الأنفال: ٤٦].

٢ - حوارٌ بينَ التَّياراتِ والجماعاتِ الإسلاميَّةِ.

ويتضمَّنُ لقاءاتٍ بين رموزِ هذه التَّياراتِ والجماعاتِ تحتَ إشرافِ الأزهرِ - بصفتِهِ الجامعة التي تُعَبِّرُ عن جميعِ المذاهبِ الإسلاميَّةِ؛ لأنَّها تُدَرِّسُها دونَ تَفرِقةٍ بينها- للنَّظرِ فيما يجبُ عملُهُ في نشرِ الدَّعوةِ، بحيثُ يُرَكَّزُ على:

- نبذِ الخلافاتِ، والعُنفِ، والتَّطرفِ.
- رسمِ منهجٍ عامٍّ يلتزمُ الجميعُ به لخدمةِ الإسلامِ في الدَّاخلِ والخارجِ.
- الاتِّفاقِ على الخطوطِ العَريضةِ التَّاليةِ:

كخ احترام الآراءِ المخالِفةِ.

كخ عدم تكفيرِ الآخَرِ، إلا إذا أنكر نصًّا من نصوصِ القرآنِ الكريمِ، أو لم يعترف بالسُّنَّةِ العمليَّةِ والحديثِ المتواترِ. ولا يَحكُمُ بهذا التَّكفيرِ إلا الجهاتُ الدِّينيَّةُ الرَّسميَّةُ بعد البحثِ والتَّدقيقِ، ويكونُ الرأيُ في ذلك بإجماعِ الآراءِ، عملًا بقولِ رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «ادرَؤُوا الحُدُودَ بالشُّبَهَاتِ»(*)، فمعارضةُ رأيٍ واحدٍ من العلماءِ يُعتَبَرُ شبهةً، مع العلمِ بأنَّ جواز إقامةِ حدِّ الرّدةِ مختلَفٌ فيه بين العلماءِ.

كخ توحيد الآراءِ في المسائلِ العامةِ والقضايا الدَّوليَّةِ، ويكونُ اتِّفاقُ الأغلبيةِ على الفتاوى مُلزِمًا للجميعِ، يلتزمونَ به في فتاواهم للعامَّةِ، وتصريحاتِهم لوسائلِ الإعلامِ. أمَّا في قاعاتِ البحثِ ومُدرجاتِ التَّدريسِ فيجوزُ عرضُ جميعِ الآراءِ للطَّلبةِ، وإن خالفت ما ارتأتهُ الأغلبيةُ للإفتاءِ به؛ لأنَّ التَّعليمَ والتَّعلمَ ينبغِي أن يتناولَ كُلَّ الآراءِ على السَّاحةِ الفكريَّةِ.

* احترام الرُّموزِ والمؤسَّساتِ الإسلاميَّةِ رغم اختلافِ الرأيِ معهُم.

٣ - الحوارُ مع العلمانيينَ.

تدورُ معاركُ في كثيرٍ من الأقطارِ الإسلاميَّةِ بين العلمانيينَ وبين رموزِ الفكرِ الإسلاميِّ حولَ الأخذِ بمبدأِ الديمقراطيَّةِ الغربيَّةِ؛ إذ يرى العلمانيونَ أنَّ هذا

النِّظامَ هو النَّموذجُ المِثَاليُّ لحكمِ الشُّعوبِ في العصرِ الحديثِ، ذلك أنَّه يُتيحُ لكُلِّ فردٍ فرصةَ اختيارِ نوابِهِ عن طريقِ تعددِ الاتِّجاهاتِ، وتَنَوُّعِ البرامجِ الحزبيَّة، فهو مخيَّرٌ بين عدَّةِ خياراتٍ، يختارُ منها ما يلائِمُ حياتَهُ، وما يُحَقِّقُ مصلحتَهُ، وما يتفقُ مع نظرتِهِ للحياة وموقفِهِ من الوجودِ كُلِّه، فإذا ما فاز اتِّجاهٌ برأي الأغلبيةِ فعلى الجميعِ أن يُسَلِّموا بأحقيتِهِ في تسييرِ دفةِ الحُكمِ، مع إعطاءِ الاتِّجاهِ المعارضِ حقَّ مُناقشةِ القوانينَ واللوائحِ التي يتقدَّمُ الحاكمونَ بها إلى المجلسِ المنتخبِ لإقرارِهَا كأساسٍ لتطبيقِ النِّظامِ في المجتمعِ، وبهذا لا ينفردُ شخصٌ بتقريرِ مصيرِ أُمَّةٍ، ولا يكونُ لمجموعةٍ، أو هيئةٍ، أو حزبٍ حقّ الاستيلاءِ على السُّلطةِ، بدون تفويضٍ من الشَّعبِ، كما لا يجوزُ للسُّلطةِ التنفيذيَّةِ اتِّخاذُ أيِّ إجراءٍ يتعلَّق بمصالحِ النَّاسِ، إلا إذا أجازَهُ مَن اختارهُم الشَّعبُ ليمثِّلُوهُ في توجيهِ أمورِ الدَّولةِ. فالتَّوازنُ بين السُّلطةِ التَّشريعيَّةِ والسُّلطةِ التَّنفيذيَّةِ يحفظُ نظامَ الدَّولةِ من التَّداعِي والانهيارِ، والاعترافُ بحقِّ نوابِ الشَّعبِ في مُساءَلةِ رجالِ الإدارةِ والحكم فيما يمارسونَهُ-بحكمِ وضعِهم الوظيفيِّ- يحمي المواطنينَ من قسوةِ الحُكَّامِ وظلمِهِم، ويحافظُ على مصالحِهم، ويُؤَمِّنُ حياتَهم، ويُرسِي قواعدَ الاستقرارِ في الأُمَّةِ.

بينما يرى بعضُ رجالِ الدِّين أنَّ هذا من النُّظم التي أقرَّتهَا العلمانيَّةُ، وما دامتِ العلمانيَّةُ لا تعترفُ بوجودِ الدِّينِ كما هو الحالُ في العلمانيَّة المُتَطَرِّفة، أو لا ترى بأسًا من وجودِهِ كما هو الحالُ في العلمانيَّة المعتدلة- غايةَ الأمر أنَّه ينحصر في ظِلِّها في مجالِ العباداتِ، فليس له سُلطانٌ على التَّشريعات واللوائح التي تضبطُ مسيرةَ الحياة، وإنَّما مركزُ التَّشريع ومصدره، هو البرلمانُ المنتخبُ من الشَّعب ولا مصدرَ غيرُهُ- فلا يجوزُ لشعب مُسلم أن يُقِرَّ هذه النُّظم المتعددة؛ فيحرمونها كلها؛ إذ يرون أنَّ نظامَ الأحزاب ليس إسلاميًّا؛ لأنَّه يُفرِّق الأمَّة شِيعًا وأحزابًا، ولذلك فهو غيرُ جائزٍ، كما أنَّ تَسْمِيةَ البرلمان بالهيئة التَّشريعيَّة حرامٌ؛ لأنَّ المُشَرِّع هو اللَّه.

ربطَ العلمانيون -على أساس علميٍّ تاريخيٍّ- هذا الموقفَ بما كان عليه الحال في أوروبا إبَّان العُصُور الوسطى؛ إذ تصَوَّروا وضعَ السُّلطة البابوية آنذاك، يوم أن كان البابا والمَطَارِنَة والقُسسُ يُحِلُّونَ ما يشاؤون، ويُحَرِّمون ما يشاؤون، ويُدخِلون الجنَّة مَن يُريدون، ويَقذِفُون في النَّار مَن يكرهُون، وتراءت في أذهانهم صُورُ صُكوك الغُفران والحِرمان؛ حيثُ قاسى منها الحُكَّامُ والأمراء الكثيرَ من المتاعبِ والآلام، بل إنَّ الشُّعوبَ نفسَها اكتَوت بنارها، وذاقت جحيمَ أوارها وسعيرِها، فتصَوَّروا - أي: العلمانيون- أنَّ تطبيقَ الشَّريعةِ الإسلاميَّة

في مجال الحُكم والإدارة سيخلقُ مثلَ هذا الوضعِ في المجتمع الإسلاميِّ؛ حيثُ يتحكَّم رجالُ الدِّين في كلِّ شيء دون أن يكونَ لأحد حقُّ الاعتراض أو المناقشة؛ لأنَّهم محصَّنُون بسياجٍ قُدسي، لا يجرؤ أحدٌ على تخطِّيه، اللهمَّ إلا مَن خَلعَ رِداءَ الإيمان.

فأيّ مسلمٍ يستطيعُ أن يضعَ نفسَهُ فِي هذا المَوقفِ؟ لا أحد.

وتكونُ النتيجةُ القضاءَ على كلِّ صوتٍ معارض، فتترعرعُ الديكتاتورية الدِّينيَّة، وتضيعُ حقوقُ النَّاس بين فكَّيها، وتهدرُ كرامة الإنسان تحتَ أقدامِهَا، كما حدثَ في القُرونِ الوسطَى؛ حيثُ كانت الكنيسةُ تبسطُ سُلطانَهَا على جميعِ مجَالاتِ الحياة.

إنَّ هذه الصُّورة لا وجودَ لها في الإسلام على الإطلاق؛ إذ لا يعرفُ في تعاليمه هذا المصطلح المسيحي: رجل دين، وغير رجل دين، لأنَّ الكلَّ في ظِلِّ الإسلام مسلمونَ، لا فرقَ في الحقوقِ والواجباتِ بين رجلٍ وآخر، وليس في الإسلامِ عِصمَةٌ لأحدٍ من الخطأ، كما هو الحالُ في المسيحيَّة بالنسبة للبابا، فكُلُّ مسلم خطَّاء، وما دام الأمرُ كذلك فلكلِّ أحدٍ الحقُّ في المعارضة؛ لأنَّه لا يُوجَدُ إشكَالٌ فِي معارضَتِهِ، وبهذَا تَنتَفِي شُبهَةُ العلمانيين في إمكانِ قيامِ ديكتاتورية دينيَّة، إذ مادام الإسلامُ قد أعطى كُلَّ مُسلِمٍ الحقَّ في المعارضة، فلن تقومَ في ظِلِّه ديكتاتورية.

أمَّا بالنِّسبة لما يراهُ بعضُ رجالِ الدِّين من تحريمِ النِّظامِ البرلمانيِّ؛ لأنَّه يَدَّعي لنفسِهِ حقَّ التَّشريع، بينما المُشَرِّع هو اللَّه، فلا ينبغِي أن يُفهَمَ وضعُ البرلمان على هذا النَّحو، ذلك أنَّ تعاليمَ الإسلامِ ومبادِئَهُ العامة لا يجوزُ المَسَاسُ بها، فهي بمثابة الدُّستورِ الذي لا يجوزُ للبرلمانِ أن يوافِقَ على تشريعِ قانونٍ يتعارضُ مع مبادِئِهِ.

فالتَّشريعُ يدورُ في أمورٍ فرعيَّة تندرجُ تحتَ ظِلِّ مبادئ الدُّستُورِ العَامَّة، فإذا أردنا أن نُبَيِّنَ طبيعةَ عمل البرلمانِ في ظِلِّ تطبيق الشَّريعة الإسلاميَّةِ، فإنَّنا نرى أنَّها لا تخرجُ عن إقرارِ تفسيرٍ لنصوصِ القرآنِ الكريم دونَ آخر، وما أكثرَ آراء العلماءِ في التَّفسير والتَّأويل، فنصوصُ القرآنِ الكريمِ لا يجوزُ الخروجُ عليها صَرَاحَةً، كما هو الوضعُ بالنِّسبة لعدمِ الخروجِ عن الدُّستورِ، وإنَّما يجوزُ لأعضاء البرلمان إقرارُ قانونٍ يتفق مع رأي عالِمٍ، ورفض رأي عالِمٍ آخر، وبهذا يكون دور البرلمان هو الاختيار والانتقاء من آراء العلماء بما يناسبُ طبيعةَ الحياة وظروفَ العصر.

يجب أن يتحاورَ رجال الدِّين مع العلمانيين، كي يُزيلوا ما عَلَق في أذهانهم من تصوراتٍ غير صحيحة عن علاقة الإسلام بمعطياتِ العَصر، كما وضح من العرض السَّابق، وحتَّى لا يقتنع الشَّبابُ بآرائهم، فيعتقدون أنَّ بين الإسلام وبين الحضارة الحديثة خُصومة لا يمكن تجنبُها، أو أنَّ مبادئ الإسلام لا تُسَايرُ العصرَ.

وينبغي أن يقومَ حوارٌ أيضًا في هذا الصَّدد مع مَن يُسمُّون أنفسَهم -أو يسميهم غيرُهم- بـ«الإسلاميون الثَّوريون» أو بـ«الإسلام اليساري»؛ لأنَّ في بعض تصوراتهم جُنوحًا عن المبادئ العامة للإسلام؛ فهم يفسرونَ بعضَ آياتِ القرآن الكريم بما يبعدها عن رُوح الإسلام وتعاليمه، وعما استقرَّ عليه المسلمون من أحكامٍ لا تتغير بتغير الزمان والمكان، وينزلون إسقاطاتٍ على بعض الأحداث في صدرِ الإسلام بما يُشَوِّهُ تاريخَ الرموز الإسلاميَّة، ولذا وجب الحوارُ معهم حتى لا يتصيدُ أعداءُ الإسلام من آرائهم ما يخدمُ دعوتَهم لمناهضةِ الإسلامِ.

٤ - الحِوارُ مع الآخر.

الحوار مع الآخر ظاهرةٌ إنسانيَّةٌ، فهو ملازمٌ للفكر والثَّقافة، أيًّا كان نوعُ هذه الثقافة ودرجةُ رُقيِّها، فهو وسيلةُ اتِّصالِ الإنسان مع أخيه الإنسان منذُ الحياةِ البدائية حتَّى عصر ما بعد الحداثةِ، فحيثما اجتمعَ اثنان في مكانٍ ما، إلا وكان الحديثُ بينهما أوَّلَ خيطٍ يربطهما، حاملًا تبادلَ المعلوماتِ والأخبار، أو مُوَجِّهًا الاتهامات والتَّهديدات إن كان اللقاءُ لتصفيةِ الحسابات أو لغرض سيطرة أحدِهما على الآخَر وسلبِ ما معه من أملاك ومتاع. كذلك الحالُ حينما ارتقى الإنسانُ، وظهرت التَّياراتُ الفكريَّة المختلفة، والمذاهبُ العقديَّة المتباينة، كان الحوارُ أحدَ أهمِّ أسباب النِّزاعِ الفكريِّ، ورغبةَ كلٍّ في غَلَبَةِ فكرِه وعقيدته على الآخَر؛ إذ يحرصُ كلُّ صاحب فكرٍ أن ينشرَه بين النَّاس، فيلتقي بهم ويشرح لهم أفكارَه، ويحاول إقناعَهم بما لديه من مُسَلَّمَاتٍ، وهم بالتالي -إذا كان لديهم فكرٌ مختلفٌ- يحاورونه الحجةُ بالحجة، والرأي بالرأي.

ولم تخرج رسالاتُ الأنبياء عن هذه الظَّاهرة، فلقد حاور الأنبياءُ والرُّسلُ أقوامَهم، حين عرضوا عليهم رسالاتِهم، وشرحوا لهم مبادئَها، طالبين منهم الإيمانَ بها مُحَذِّرين من عاقبة عنادهم وكفرهم، وقد سجَّلَ القرآنُ الكريم أساليبَ عدَّةً من هذه الحوارات التي دارت بين الرُّسل وأقوامهم، فعلى سبيل المثالِ نقرأُ قوله تعالى عن حوار إبراهيم -عليه السلام- مع قومه: "وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي

ضَلَالٍ مُّبِينٍ (54) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (55) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦)" [الأنبياء: ٥١-٥٦].

وحوارُ نوحٍ مع قومِهِ: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (25) أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (26) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧)[هود: ٢٥-٢٧].

وغير ذلك من الآياتِ المتعددة التي تُبَيِّنُ المواقفَ المختلفةَ التي حاور فيها الرُّسلُ والأنبياء أقوامَهم حولَ القضايا العَقَديَّة، والمبادئِ التَّربويَّة، والمُشكلاتِ الاجتماعيَّة التي جاء فيها وحيُّ الله بتعاليمَ ومبادئَ إلهيَّة داعيًا البشرَ إلى اعتناقها واتباعها في جميعِ مجالات حياتهم؛ لتستقيمَ حياتُهم، ولينالوا رضا الله وعفوه، فيثيبَهم على إيمانِهم وعملِهم.

***

أهمية الحوار مع الآخر في الإسلام

لم يَرِد وجوبُ الحوار مع الآخَر في أي دين من الأديان كما ورد في الإسلام، وكذلك لم يهتمِ أيُّ مذهبٍ من المذاهب الفكريَّة بالحوار مع الآخَر اهتمامَ الإسلام به؛ فقد أمر اللَّهُ رسوله صلى الله عليه وسلم بالحوار مع أهل الكتاب، مما جعلَ الحوارَ الدِّيني مَبدءًا أساسيًّا في منهج الدَّعوة إلى الإسلام، يقول اللَّه تعالى: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)[آل عمران: ٦٤].

وبهذا كان الحوارُ مع الآخَر فريضةً من فرائضِ الإسلام، التزم به النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، فأجرى حواراتٍ مع الوفود التي وفدت عليه في المدينة، والتي بلغت أكثرَ من ثلاثين وفدًا في عام واحد، سُمِّي «عامَ الوفود»، وكان من أشهرِ تلك الوفودِ: وفدُ نَصَارى نَجرَان، الذي قَدِمَ المدينةَ بقيادة أسقفهم أبي الحارث، فتَحاور معهم النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم.

ومما يدل على سماحةِ الإسلام وتعامله مع الآخَر بأسلوبٍ حضاريٍّ في ذلك العصر -الذي لم يعرف المتخاصمون فيه إلا السيفَ لغةً للحوار- أنَّه صلى الله عليه وسلم سمح لأعضاء الوفد أن يُقيموا صلاتَهم في أحدِ أركانِ مسجده صلى الله عليه وسلم، وتلك لفتةٌ لم يُعرَف مثلُها في تلك العصور، ونادرًا - بل يكاد يكون من المستحيل- أن يحدث مثلُها في هذا العصر، في القرن الواحد

والعشرين الذي يفخر أبناؤه بأنَّهم قطعوا شأوًا كبيرًا في الحضارة؛ مما جعلهم يتعاملون مع الآخَر بأسلوبٍ مُهَذَّبٍ وراقٍ.
ومن المبادئ الإسلاميَّة التي تَدعُو المُسلمَ إلى التَّعايش مع الآخَر والحَوارِ معَهُ واحترامِ رأيهِ:
- الحرية: فقد قَدَّسها الإسلامُ، ودعا إلى كفالتها، ولو أدى ذلك إلى عدمِ الاعترافِ به دينًا، يقول الله تعالى: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ .. "[البقرة: ٢٥٦] ويقول: "وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ" [الكهف: ٢٩]، "وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً .. " [يونس: ٩٩].
فالله يُبَيِّنُ لرسولهِ صلى الله عليه وسلم في هذه الآيات أنَّ الإيمان متروكٌ لحرية الإنسان، فلا ينبغي أن يُمَارِسَ أحدٌ الإكراهَ لحمل النَّاس عليه؛ لأنَّه لو شاء الله لأكرههم على الإيمان، ولكنَّه تركَهم بحُرِّيتهم ليكونَ الإيمانُ نابعًا من ذات الشَّخص نفسِه حتَّى يُثمِرَ إيمانُه؛ لأنَّ العمل لا يكون نافعًا إلا إذا فعله الإنسان، وهو في كاملِ حُرِّيتِه.
ولهذا نظرَ الإسلامُ إلى المجتمعِ نظرةً شُمُوليَّةً، فهو لا يُفَرِّقُ بين النَّاس على أساسِ مُعتقداتِهم، بحيثُ يسلبهم حريتَهم بسبب هذه المُعتَقَدَاتِ، بل يَكفُلُ لهم أُسسَ العَيشِ في سَلامٍ واطمئنانٍ داخلَ المجتمعِ الإنساني، وأعطاهم حريةً كاملةً في ممارسة بناء المجتمع، فلا زال قول عمر بن الخطاب -رضي اللَّه عنه-(*): «مَتَى استَعبَدتم النَّاسَ وَقَد وَلَدَتْهُمْ أمهاتُهم أحرارًا» ناقوسًا يَرِنُّ في آذان كُلِّ المجتمعات البشريَّة، معلنًا أنَّ المسلمين طبَّقوا قواعدَ الحرية كما أمرهم الإسلامُ، واستنكروا كُلَّ ما مِن شأنه أن يسلبَها من المجتمع؛ لأنَّها أساسُ كيانِ الإنسانيَّة، ودَعامةُ استقرارِ المجتمع على قواعدَ ثابتةٍ، لا تتزعزعُ أمام عواصفِ الدَّهرِ وتقلباتِ الأيَّام.
ومما يدلُّ على سماحة الإسلام مع الآخَر، أنَّ الرَّسول صلى الله عليه وسلم عقدَ مع نَصَارى نَجران عهدًا مع بقائهم في أماكنهم، وإقامتِهم في ديارهم، دون أن يكون معهم أحدٌ من المسلمين، وقد تضمَّن هذا العهدُ حِمَايتَهم، والحفاظَ على حرياتهم الشَّخصيَّة والدِّينيَّة، وإقامةَ العدل بينهم، والانتصافَ من الظَّالم. وقام الخلفاءُ من بعده على تنفيذه حتَّى عهد هارون الرَّشيد، فأراد أن ينقُضَه، فمنعه محمدُ بن الحسن- صاحبُ الإمام أبي حنيفة.
وفي هذا دلالةٌ واضحةٌ على رُوح التَّسامح في معاملة غير المسلمين؛ إذ حافظ على حُريَّاتِهِمْ في العبادة، وفي إقامةِ شعائرهم الدِّينيَّة من غير تضييق عليهم،

ولا تعكيرِ صفو الجوِّ الرُوحي لطقوسِهم الدِّينيَّة؛ لأنَّه احترمها، واتَّخذ من الإجراءاتِ ما يَحمِي قدسيتَها.
- تَقبلهُ للثَّقافات والحضارات الأخرى؛ مما يدل على أنَّ فكرةَ الصَّراع الحضاري لا وجودَ لها في مبادئه وتعاليمه، ويُوَضِّحُ نظرتَه العالميَّة الواسعة إلى الأديان والأجناس الأخرى، ولهذا أقام حضارةً كبرى أسهم فيها أهلُ هذه الأجناس والأديان في كلِّ ناحيةٍ من نواحي الحياة، والفكر، والفلسفة، والأدب، والفن، والطِّب، واللغة، والتَّصوف، وكانت تلك الحضاراتُ تأليفًا وتوحيدًا لكل الحضارات قبلها في: الصِّين، والهند، وفارس، والرُّوم، واليونان.
شيَّد المسلمون على كلِّ هذه الأسس بِنَاءً حضاريًّا ضخمًا، اشترك فيه العلماءُ من جميع الأجناس والأديان، فكانت بحقٍّ حضارةً لجميع أهلِ الأرض على اختلاف أجناسهم ولغاتِهم، ثُمَّ انتقل هذا التُّراثُ الحضاري إلى الأجيالِ اللاحقة، فكان مصدرًا للحضارة الحديثة، وقد عَبَّر أحدُ العلماء عن دَورِ المسلمين في بناءِ الحضارة الإنسانية بقوله: «إنَّ المسلمين لم يَحرِصُوا على أن يَكُونوا وَرَثَةَ الأنبِيَاءِ، بل وَرَثَةَ الفَلاسِفَةِ كذلك».
فالإسلام دينٌ يحثُّ أتباعَه على الاتِّصال بثقافة الآخَر والأخذ منها؛ اتباعًا لقول رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: «الكلمةُ (الحكمةُ) ضالَّةُ المؤمنِ، فحيثُ وجدَهَا فهو أحقُّ بها»(*)، فهو لم يَغرِس في نفوس المسلمين حقدًا ضدَّ أي طائفةٍ من البشر تعتنق دينًا آخر، ولم يُحَرِّم عليهم التَّزودَ بأي نوعٍ من الثَّقافات الإنسانيَّة، ولم يفرض عليهم شيئًا يعزلهم عن غيرهم من أجناسِ البشريَّةِ، ولم يأمرهم بإجبارِ أحدٍ على اعتناق الإسلام، فكان بذلك ساحةً ضمَّت جميعَ النَّاس، وبَوتَقَةً صهرت جميعَ الثَّقافات، ووادِيًا أَمِنَ فيه النَّاسُ على أنفسهم، وعقائدهم وأفكارهم، واطمأنوا على سلامة أموالهم وممتلكاتهم، فنظروا إليه غيرَ خائفين، وفكَّروا في مبادِئه غيرَ وَجِلين، ودرسوا أحكامَه في جوٍّ من الحريَّة والديمقراطيَّة، فجاء اعتناقُ مَن اتَّخذه دينًا عن رغبة واقتناعٍ، وعاش في ظِلِّ دولته مَن بَقِيَ على دينه آمنًا مطمئنًا، يَسعى إلى رزقه، ويشارِكُ في مجالات الدَّولة المختلفةِ تحتَ رايةِ الإسلام التي ترفرفُ مُعلنةً أنَّها مظَلَّةُ الإنسان، من حيثُ هو إنسان؛ لأنَّه عبد اللَّه الذي أنزل هذا الدِّين على محمدٍ صلى الله عليه وسلم.
اتبع المسلمون هَديَ رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم في هذا المجالِ فحاوروا أهلَ الأديان بالتي هي أحسنُ، وتعايشوا معهم على أساسِ الأخوة الإنسانيَّة، فلم يجبروهم على اعتناق الإسلام، ولم يضطهدوهم لمجرد أنَّهم يخالفونهم في

العقيدة، بل رفعوا عنهم ظُلْمَ إخوانِهم في العقيدة واضطهادهم لهم، فقد حدث أنَّ عمرو بن العاص حين فتح مصر، كان البطريرك المسيحي (بنيامين) مختفيًا؛ لأنَّ وطأة استبداد البيزنطيين المسيحيين في البلاد كانت عنيفةً، وطبقًا لنصِّ تاريخِ البطاركة: لمَّا عرف عمرو بذلك كتب إلى عمالِ مصرَ كتابًا يقول فيه: الموضعُ الذي فيه (بنيامين)- بطرك النصارى القبط له العهدُ والأمانُ والسَّلامة من الله. فليحضر آمنًا مطمئنًا ويدبِّر حال بيعته وسياسة طائفته، فلما سمع بنيامين هذا عاد إلى الإسكندرية بفرحٍ عظيم بعد غيبة ثلاث عشرة سنة؛ منها عشر سنين لهرقل الرومي، وثلاث سنين قبل أن يفتح المسلمون الإسكندرية(*)، ثُمَّ التقى عمرو بنيامين «فلمَّا رآه -عمرو- أكرمه. وقال لأصحابه: إنَّ في جميع الكور التي ملكناها إلى الآن ما رأيت رجلًا يشبه هذا. وكان الأبُ (بنيامين) حسنَ المنظر جدًّا، جيدَ الكلام بسكونٍ ووقار، ثُمَّ التفت عمرو إليه وقال له: جميعُ بِيَعِك ورِجالِكَ اضبطهم ودبِّر أحوالَهم»(*).

لقد أرسى الإسلامُ قاعدة صلبة في مجال التَّعامل مع الآخَر، باختياره أسلوب الحوار، كي يُوَضِّحَ الفِكرَ البشري ويُبَيِّنَ مدى صلته بالتُّراث الإلهي، ولا يكون ذلك إلا باحترامِ الحريَّةِ في التَّعبير، وسماعِ ما عند الآخَر، وعَرضِ مبادئ وتعاليمِ الإسلام عليه دونُ إكراه، بل بالتَّفاهم والأدلة العقلية - وبالتعبير الإسلامي: «بالحكمة... وبالمجادلة بالتي هي أحسن»-؛ إذ لا يمكنُ للشُّعوب أن تتقدَّم إلا بتبادل المعلومات، ومناقشةِ القضايا: قضايا السِّلم والعَدل، وغيرها من المشكلات التي يواجهها الإنسان في مسيرة بنائِهِ الحَضَاريِّ، والتَّعاون فيما بين الشُّعوب على أساسِ احترامِ الآخَر، ومعرفةِ ما عندَه من مبادئَ وقيمٍ.

***

ضَرُورةُ الحِوَارِ مع الآخَر فِي العَصرِ الحَدِيثِ

أصبح الحوارُ مع الآخَر ضرورةً في عالَم اليوم؛ لأنَّ المجتمعاتِ المعاصرة ضمَّت العديدَ من الأفكار والعقائد والمذاهب الفكريَّة، بل إنَّ المجتمع الواحد المحدود قد يضمُّ أكثرَ من عقيدة، ويعتنق أفرادُه أكثرَ من مذهب في جميع المجالات: سياسيَّة، واقتصاديَّة، واجتماعيَّة... و... و... إلخ، ولذا كان الحوارُ في حدِّ ذاته مطلبًا حيويًّا وضرورةً قُصوى، وعلى الأخصِّ: حوار الأديان؛ لأنَّ الدِّين لازال يلعبُ دُورًا كبيرًا في حياةِ الشُّعوب؛ إذ يَرسِمُ للفرد أسلوبَ حياته، ويحددُ له طبيعةَ العلاقة مع الآخَر، وبالتَّالي فهو عنصر أساسٌ في استقرارِ المجتمعات ورسمِ حدود العلاقات بين الشُّعوب، حتَّى في المجتمعات التي أعلنت أنَّ العلمانيَّة هي أسلوبها في الحياة السِّياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة؛ فقد رأينا

أنَّ نزعةَ التَّعصبِ الدِّينيِّ، والتَّبشيرِ بقيام صراع بين الحضارات على أساسٍ ثقافيٍّ ودينيٍّ صدرت من مجتمعٍ يعتبر نفسَه زعيمَ العلمانيَّة في العصر الحاضر؛ إذ أعلم صمويل هنتنجتون -وهو أمريكي نشأ على الثَّقافة العلمانيَّة- في كتابه: «صدام الحضارات» أنَّ الصِّراعَ في العالم الجديد لن يكونَ أيديولوجيًا، أو اقتصاديًّا، بل سيكون الانقسامُ الكبيرُ بين البشر، والمصدرُ الغالب للصِّراع ثقافيًّا، ودينيًّا:

- مُرَكِّزًا في كثير من صفحاتِ كتابه على أنَّ الصِّدام بين الحضارةِ الإسلاميَّة والحضارة الغربيَّة واقعٌ لا محالةَ، فهو -أي الإسلام- الخطرُ الماثلُ أمامَ أعينِ الغرب «المتحضر»، يبدو ذلك واضحًا من قول أحدِ المُرَاقبين حسبَ زعمه: «الكابوي الخاص للأوربيين هو الذكرى التاريخية (إغارة المسلمين في أوربا الغربية، والأتراك على أبواب فيينا»)(*).

- ومبينًا لهم ما يحدث في تركيا؛ حيثُ يقول: «بالنِّسبة لتركيا - كما هو لدول أخرى كثرة - أثارَ انتهاءُ الحرب الباردة بالإضافة إلى الخللِ النَّاتج عن النُّمو الاقتصاديِّ والاجتماعيِّ قضايا أساسية عن «الهُوية القوميَّة والانتماء العرقي»، وكان الدِّينُ هناك ليقدم الإجابةَ، وأصبح الميراثُ العلماني الأتاتوركي والنّخبة التُّركيَّة لثلثي قرن تحتَ النِّيران وبشكل متزايد. تجربةُ الأتراك في الخارج أدت إلى إثارة عواطفِ الإسلاميين في الدَّاخل. الأتراكُ العائدون من ألمانيا الغربيَّة «كان ردُّ فعلِهم على العداء هنا هو العودةَ إلى ما هو مألوفٌ، وأنَّ ذلك هو الإسلامُ»(*).

بل إنَّه يُؤَكِّد في مواضعَ عِدَّةٍ من الكتاب على أنَّ الصِّراع بين الحضارتين: الإسلاميَّةِ والغربيَّةِ مستمرٌّ، هناك خصومةٌ بين القِيم العلمانيَّة والقِيم الإسلاميَّة، وهناك خصومةٌ تاريخيَّةٌ بين الإسلام والمسيحيَّة، وهناك شعورٌ بالغِيرة من القوَّة الغربيَّة، وهناك استياءٌ من السَّيطرةِ الغربيَّةِ النَّاجمة عن بنيةِ الشَّرق الأوسط السِّياسيَّة بعد زوال الاستعمار، وعندهم -أي المسلمين- شعورٌ بالمرارة والامتهان نتيجةَ المقارنةِ البغيضةِ بين إنجازِ الحضارتين: الإسلاميَّة والغربيَّة في القرنين الأخيرين: «طالما أنَّ الإسلام يظلُّ -(وسيظلُّ)- كما هو الغرب، فإنَّ الصِّراع الأساس بين الحضارتين الكبيرتين وأساليب كُلٍّ منهما في الحياة سوف يستمرُّ في تحديد علاقتهما في المستقبل، كما حدَّدها على مدى الأربعة عشر قرنًا السَّابقة... إنَّ حربًا مجتمعيَّة باردةً مع الإسلام سوف تساعدُ على تقوية الهُوية الأوروبيَّة بشكلٍ عام، في وقت حاسم بالنِّسبة للوَحدة الأوروبيَّة. ومن هُنا

قد يكون هناك مجتمعٌ في الغرب مستعدٌ، ليس لدعم حربٍ مجتمعيَّة باردة فقط مع الإسلام، بل ولِتَبَنِّي سياساتٍ تُشجعُ عليها.
في سنة ١٩٩٠م قام «برنارد لويس»، وهو مفكر غربي بارز مهتم بالإسلام، بتحليل «جذور الغضب الإسلامي» واستنتج قوله: «يجبُ أن يكونَ واضحًا الآن أنَّنا نواجه حالةً وحركةً تتخطى بكثيرٍ مستوى القضايا والسِّياسات والحكومات التي تتابعها، وهذا ليس أقلَّ من صدامِ حضاراتٍ، والذي ربما كان غيرَ منطقيّ، ولكنَّه بالتأكيد رَدُّ فعلٍ تاريخيٍّ لتنافسٍ قديمٍ ضدَّ تُراثِنَا اليهوديِّ المسيحيِّ وحاضرنا العلمانيِّ، وانتشارِ كُلٍّ منهما على مستوى العالَم، ومن المهم جدًّا أنَّنا من جانبنا لا يجبُ أن نُستَثَارَ إلى رَدِّ فِعلٍ تاريخيٍّ ولا منطقيٍّ معادلٍ ضِدِّ ذلك المُنَافسِ»(*).
كان من الطبيعي بعد ظهورِ هذه الفكرة، صراع الحضاراتِ على السَّاحة الثَّقافيَّة العالميَّة أن يتصدى المفكرون من المسلمين لهذا الطَّرحِ غيرِ السَّليم- منطقيًّا، وفكريًّا، وتاريخيًّا-، موضحين أنَّ تعاليمَ الإسلام تدعو إلى الحوار لا إلى الصِّدام، ويبدو ذلك واضحًا من آياتِ القرآن الكريم ومن أحداثِ التَّاريخ الإسلاميِّ، كما ذكرنا ذلك سابقًا، فالإسلامُ يَحُثُّ المسلمَ على الاعتراف بالآخَر والحوار معه؛ لكي يعيشَ الإنسان آمنًا على دينِه، مطمئنًا على حياته، واثقًا من صِدق المشاعر بينه وبين أخيه الإنسان، وإن اختلف معه في الدِّين والعقيدة، وبهذا احتلَّ الحديثُ عن هذا الحوارِ وضرورة التَّعاون على المستوى الإقليميِّ والدَّوليِّ مساحةً كبيرةً في دوائرِ الفكر الإسلاميِّ بكل أنواعه: من الكلمةِ المكتوبة إلى الصَّوت المسموعِ، إلى الصُّورة المرئيةِ، منذِّدًا باتهام المسلمين بأنَّهم أعداءُ الحضارة الحديثةِ، مُعلنًا استعدادَ المسلمين للحوارِ على جميع المستويات، وفي كُلِّ المجالات التي تتعلَّق بحياة الإنسانِ وسلامته، وباستقرارِ المجتمعات وأمنِهَا.
بدأ الحوارُ مع الآخَر، فعُقدت العشراتُ من النَّدوات والمؤتمرات في أماكنَ شَتَّى في أرجاءِ المعمورة، دون أن يعرفَ أحدٌ من المسلمين المتحاورين ماهيةَ الموضوعاتِ التي يقوم عليها الحوار، ولا طبيعةَ الأهدافِ التي يريدون الوصولَ إليها. لقد عُقدت حتَّى الآن أكثرُ من أربعين جولةً من الحوار الإسلاميِّ - المسيحيِّ في عواصمَ متعددةٍ، اتَّخذت شكلَ مؤتمراتٍ، وندواتٍ، وحَلقَاتٍ دراسيَّة، ولقاءاتٍ مشتركةٍ، وأُلقيت فيها بحوثٌ حولَ السَّلامِ والتَّعايشِ السِّلميِّ، والأخوةِ الإنسانيَّةِ، كما تُبُودِلَت كلماتٌ تنضحُ بالعطفِ والمودةِ والرَّحمةِ الإنسانيَّة، وتحددت في بعضها -وهو قليل جدًّا- بعضُ الموضوعات التي تتصل

بالتَّعايشِ السِّلميِّ -وغالبًا ما كان الجانب المسيحي هو الذي يختارها- ولكن لم يصل المشاركون فيها إلى نتائجَ ملموسةٍ، يمكن تنفيذُها أو رؤيتها على أرضِ الواقع، فهي -غالبًا- لا تعدو أن تكون اجتماعاتٍ للكلامِ وتبادل التَّحيَّاتِ الرَّسميَّةِ. ولهذا ينبغي أن يُحَدَّدَ أسلوبُ الحوارِ، ومنهجُه، وقضاياه، والأهدافُ التي يريد المتحاورون الوصولَ إليها.

أما أسلوب الحوار فينبغي أن يكون على النَّحو الآتي:

١- لا يكون الحوارُ متكافئًا إلا إذا كان بين قوتين متعادلتين يعترف كلٌّ منهما بالآخَر؛ إذ يحدث التَّصارعُ عندما تَجعل إحدى الثَّقافات من نفسها الثَّقافةَ العُظمى، بينما كُلُّ الثَّقافات الأخرى ثقافاتٌ صغرى، ويظنُّ أصحابُها أنَّ ثقافتَهم أعلى وأعظمُ من الثَّقافاتِ الأخرى، الثقافات الصغرى. نحن نعيشُ في القرن الواحد والعشرين، حيثُ تواجه البشريَّةُ نظامًا عالميًّا جديدًا، فهل يوجد في هذا النِّظامِ أرضيةٌ مشتركةٌ يقوم عليها الحوار بين الحضارات والثَّقافات المختلفة؟ وكيف تبدو هذه الأرضيةُ المشتركةُ في عالَم يريد أن يُعيدَ نظامَ الهيمنةِ القديمِ في ثوبٍ جديد، تحتَ شعارات مختلفة؟ إنَّ الحوار لن يكون مُثمِرًا في هذا الجوِّ إلا إذا تحقق شرطٌ أساس، ألا وهو الاعترافُ المتبادل بالتَّقاليد المميزة للحضارة الإنسانيَّة، قد يكون هذا أمرًا صعبًا على أولئك الذين يمارسون الهيمنة على العالَم، وليس عندهم الاستعدادُ للتَّنازل بأنَّهم الأقوى، والأكثرُ تفوقًا في مجال التُّكنولوجيا، ولكنَّه شرطٌ بالغُ الأهميَّةِ إذا كان الطرفان صادقي النِّيةَ في الوصول إلى صيغةٍ مشتركةٍ للتَّعايش السِّلمِي. إنَّ تحقيقَ السَّلامِ في العالم يتوقف على تحقيقِ السَّلام بين الأديان، ولن يتحققَ السَّلامُ بين الأديان إلا بإجراءِ حوارٍ بين أصحاب هذه الأديان، ومن شروط نجاحِ أيِّ حوارٍ على أيِّ مستوى، أنْ يكونَ كُلٌّ من طرفي الحوار نِدًّا للآخرَ، وهذا يعني ضرورةَ تحقيقِ المُسَاواةِ التَّامَّةِ بينهما في كُلِّ ما يتعلَّق بالحوارِ المرادِ إجراؤه بين الطرفين.

٢- عدم المَسَاسِ بالعقائد في جلساتِ الحوار، وهذا لا ينفي تركَ أو إهمالَ الدِّراسات العقديَّة في المُدَرَّجات الجامعيَّة، وفي حَلقَاتِ النِّقاش الأكاديميَّة، فذلك مرفوضٌ رفضًا باتًّا؛ لأنَّ الأديان بالنِّسبة لأصحابها حقائقُ مُطلقةٌ، لا يجوز تعديلُها، أو التَّنازلُ عنها، فالانتقاصُ من الإيمان ولو قيدُ شعرةٍ أو أكثر، يُخِلُّ به، ويفقده حقيقته، وبالتَّالي لا يكون إيمانًا. فهل عند الغربيين استعدادٌ للتَّنازل عن بعض عقائدهم المسيحيَّة؟ لا أظنُّ ذلك، بل العكسُ هو الصحيح؛ إذ هم ينتظرون من المسلمين أن يتنازلوا عن بعضِ مُسَلَّماتِهم، كما حدث في إحدى ندواتِ الحوار التي عُقدت بالقاهرة؛ إذ اعترضَ المسيحيون المشاركون في

النَّدوة على تركيز المسلمين على موضوعِ القُدس، وهو من المُقَدَّسات الإسلاميَّة، كما أنكر بعضُهم وصفَ الإسلام بالرَّبانيَّة، وأصرُّوا على موقفهم إزاء الإسلام، من ناحية أنَّ محمدًا ليس نبيًّا، ولا كتابه كتابًا إلهيًّا(*). ولهذا يجب على المتحاورين أن يُنَحُّوا مسائلَ العقيدةِ جانبًا، ويُرَكِّزوا فقط على المسائلِ الأخلاقية المشتركة لينطلقوا منها إلى منهاجٍ للتَّعايش السِّلمِي. وليس الهدفُ من الحوار الوصولَ إلى موقفٍ وسطٍ بين العقائد، أي: الوصول إلى توفيقٍ تلفيقي يقوم على اتِّخاذ موقفٍ نسبيٍّ عامٍّ، بل أساسُ اللقاء التَّفاهم، ومعرفةُ كلّ ما عند الآخَر، وتصحيحٌ للمعلومات غيرِ الصَّحيحة عند كُلِّ طرف عن الطَّرف الآخَر. ثُمَّ إنَّ الحوار يكشفُ لصاحب الدِّين أو العقيدة -من خلال دين الآخَر، أو عقيدَتِه، أو ممارسَتِه لها -مفاهيمَ جديدةً، وأساليبَ للممارسةِ تُضَيِّقُ المسافةَ بين المبدأ والتَّطبيق، تساعدُه على الاقتراب من مُثُلِهِ العليا... ففي الحوار نكتشفُ التَّكاملَ: العطاءَ والأخذَ، والإثراءَ المتبادل. حينئذٍ يصير من الممكن الاعترافُ بأنَّ الآخَرَ مصدرٌ للإلهام والقوة، وينتفي التَّعالي الذي يستندُ إلى شعورٍ بالكمال والاكتفاء الذَّاتي. بل يكتشفُ كُلُّ واحدٍ أنَّه يحتاج إلى الآخَر... مع الاحتفاظ بهُويته. فينظر الواحدُ إلى الآخَر على أنَّ كُلَّ واحدٍ لديه شيءٌ يتعلمه من الآخَر ويستفيد به، وأنَّ لدى كُلِّ واحدٍ أيضًا شيءٌ يقدِّمه، فتنحَلُّ عُقدَةُ التَّفوُّقِ التي تُعَطِّلُ الفِكرَ والتَّفَاهم(*).

٣- الاعتراف المتبادل، فكما أنَّ المسلم يعترفُ بوجودِ عقائدَ أخرى ويُسمِّيهَا دينًا، وإن لم يُؤمِن بها لاعتقاده أنَّها باطلة، فكذلك يجب على مَن يتحاور مع المسلمين الاعترافُ بالإسلام دينًا، فإذا تعذَّر ذلك، فلا أقلَّ من احترام تعاليمِ الإسلام وقِيَمِه، كما تُحَتِّمُ قواعدُ الحضارةِ الحديثة على الإنسان المتحضر أن يحترمَ تقاليدَ وعاداتِ الآخَر، وإن كانت في رأيه لا تتفق مع المنطق والعقل. فإذا تعذَّر ذلك على بعض المتشددين، فلا مانعَ من إجراء حوار لمنعِ المواجهة المسلحة بينهم وبين المسلمين، ولإرساءِ قواعدَ ومبادئَ للتَّعايش السِّلمي بين النَّاس جميعًا بشرط أن تكونَ لغةُ الحوار مُؤدبةً، وأن يلتزم المتحاورون بالموضوعيَّة، بعيدًا عن المُهَاتَرَات والألفاظ التي تجرح شعورَ الأطراف المتحاورة.

٤- احترام كُلِّ طرفٍ من أطراف الحوار ثقافةَ الآخَر وعقيدَته، يقول اللَّه تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا .. "[الحجرات: ١٣]، فالاتِّصالُ الثَّقافيُّ يجبُ أن يقومَ على أساسِ تبادلِ المعلومات والخبرات، لا بقصدِ هيمنة ثقافةٍ على أخرى، أو فرضِ تقاليدِ شعبٍ على آخَر؛

فلا يجوزُ لطرف أن يُملِيَ على الطَّرف الآخَر ما يجب عليه عمله في مجال الثَّقافة، أو في مناهجِ التَّعليم في مراحله المختلفة، أو في توجيهِ الرَّأي العام، عن طريق وسائلِ الإعلام المختلفة: المقروءةِ، والمسموعةِ، والمرئيةِ، فإنَّ ذلك كلّه من خصوصيات كُلِّ أمَّةٍ، فلا يخضعُ لتوجيهاتٍ خارجيَّة، أو إملاءات أجنبيَّة. فإنِ احتاجت إلى تطويرٍ لمواكبة العصر، أو تعديلٍ لتلافي عجزٍ فيها، فينبغي أن يكونَ ذلك نابعًا من شعورٍ داخلي؛ ليأخذَ طريقَه في إطارِ الهُوية، بحيثُ لا يخرج عن التَّعاليمِ الدِّينيَّة، ولا يَبعدُ عن القِيمِ والمبادئِ الأخلاقيَّة، ولا ينحرفُ عن العاداتِ والتَّقاليد المرتبطةِ بالتَّاريخ والرُوحِ الإسلاميَّة. ومن هُنا يجبُ أن يرفضَ رفضًا باتًّا كُلّ إشارة أو تلميح إلى وجوب حذفِ آيات قرآنية بعينها من المناهج التَّعليميَّة، أو إهمالِ أحداثٍ تاريخيَّة تُدين مجموعةً بشريَّة مُعينةٍ؛ لأنَّ ذلك -لو حدث- يتنافى مع أهمِّ شرطٍ من شروط الحوار الإيجابي؛ ألا وهو عدمُ تدخل أيِّ طَرَفٍ في الشُّئون الخاصَّة التي تتعلَّق بهُوية الطَّرف الآخَر وثقافتِه وعقيدتِه.

٥- الاعتراف بالأصلِ الواحد للخليقة كلِّها، كما قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ .. " [النساء: ١]، فلا يَتعالى جنسٌ على آخَر، ولا يُفَضَّل شَعبٌ بسبب اللون، أو الجنس، أو العقيدة، أو بسببِ قدراته العسكريَّة، أو الاقتصاديَّة، أو العلميَّة والثَّقافيَّة.

***

منهج الحوار

١- نسيانُ الماضي بما فيه من صراعاتٍ وأحداثٍ مؤلمة، قد تُفَجِّرُ -لو لم تُنسَ- النُّفورَ بين المتحاورين، وتُلقِي بظلالٍ قاتمةٍ على جوِّ الحوار، فتُحَفِّزُ كُلَّ طَرَفٍ ضِدَّ الآخَر، مُلقيًا بالشُّكوك في كُلِّ ما يُطرح من قضايا ومشكلاتٍ على مائدةِ الحوار.

٢- حريةُ العقيدة، يقول تعالى: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" [البقرة: ٢٥٦]، فلا يجوزُ لأحد أن يفرضَ عقيدته على الآخرين بالقوَّة، بل يُترَك الأمرُ للنَّاس، يعتنقون ما يرونه صحيحًا، دونَ ضغطٍ أو إكراهٍ.

٣- اتباعُ المنهجِ العقليِّ في طرحِ القضايا والمشكلات، وسُبلِ حلِّها؛ لأنَّ العقلَ هو القاسمُ المشترك بين النَّاس جميعًا، على اختلافِ مِللهم ونحلهم، فهو أقربُ المناهجِ لالتقاءِ النَّاس، مختلفي العقائد والملل، وهو أقصرُ الطُّرقِ للوصول إلى رسمِ منهجٍ مشترك للتَّعايش السِّلمي.

٤- عقدُ ندوتين سنويًّا، يفصلُ بينهما أربعة أشهرٍ، تُخَصَّص للإعداد الجيد، وذلك باختيارِ موضوعٍ واحدٍ، يُستَكتَبُ فيه علماءُ ومفكرون على مستوى عالٍ جدًّا، ثم تُناقَش أوراقُهم في النَّدوة، بحيثُ تخرج المناقشةُ في صورةِ ورقة واحدةٍ، تجمع ما في الأوراق كلِّها من أفكارٍ ومبادئَ. ثم يُعقَدُ مؤتمرٌ تُناقش فيه الورقتان اللتان أعدتهما النَّدوتان، ولا يعقد هذا المؤتمرُ إلا بعد مرور أربعة أشهر على عقد النَّدوة الثَّانيةِ، ويكون العملُ فيها مُرَكَّزًا على استخلاص ما في الورقتين في ورقةٍ واحدة، تُعرَض على المؤتمر، ثُمَّ يخرجُ بيانٌ بالمبادئ التي اتَّفق عليها المؤتمرون. وإن لم يحدث ذلك كانت لقاءاتُ الحوار الدِّيني بلا هُويةٍ تُعرَف بها ولا طابعٍ يُمَيزها، ولا نتيجةٍ من ورائها تَجني الشُّعوب ثمرتَها.

٥- يُكَوَّن جهازٌ إداريٌّ تكون مهمتُه العملَ بكلِّ الوسائل على تفعيلِ ما صدرَ عن المؤتمر من مبادئَ وتوجيهاتٍ على كلِّ المستويات الإقليميَّة والدَّوليَّة، ولو اقتضى الأمرُ رفعَها إلى المنظَّمات الدَّوليَّة لإصدار قرارات مُلزِمَة بتنفيذ هذه المبادئ، فيجبُ القيامُ بذلك، وإلا أصبحت جلساتُ الحوار الدِّيني عبارةً عن اجتماعات شكليَّة، وتوصياتٍ ونتائجَ لا تتعدى كونَهَا كلماتٍ سُطِّرَت على ورقٍ، وبالتَّالي تصبح لقاءاتٍ فاشلة، لا فائدةَ فيها، اللهمَّ إلا تعطيلَ مصالحِ المسلمين، وتضييعَ الوقت في مباراياتٍ كلاميَّةٍ، وخُطَبٍ جوفاءَ لا مدلولَ لها.

***

موضوعات مقترحة للحوار

لا شكَّ أنَّ موضوعاتِ الحوار الدِّيني، التي يجبُ وضعُها على مائدةِ البحثِ كثيرةٌ كثرةً تجعل من المستحيلِ حصرَها؛ لأنَّها تتعلَّق بحياةِ الأفراد، وحياةِ الشُّعوب. وعلى الرغم من كثرةِ عناصرِها الماثلة أمامنا، فهي أيضًا متجددةٌ، ومتطورةٌ، وخاصَّة في العصر الحديثِ، عصرِ التكنولوجيا، وعصرِ ما بعد الحَدَاثةِ، الذي يُخرِج لنا كلَّ يومٍ من الأطروحات وما يتبعها من مشاكلَ ما يدفعُ أجهزةَ الرَّصد إلى العملِ بأقصى سرعة لملاحقتها وتقييمها. ولكنَّ هذا لا يمنع من تناول أهم ما فيها، وأكثر إلحاحًا لضبطه وتصويبه، لتستقيمَ العلاقة بين الشُّعوب على أساسٍ سليمٍ، يُسعد الأفرادَ، ويساعد على ازدهارِ الأمم وتقدُّمِ المجتمعات.

ومن اللافتِ للنَّظر أنَّ بعضَ القضايا قديمٌ قِدَم قيام المجتمعات الإنسانيَّة، على الرغم من تطويرِ مفهومها، وتَنَوُّعِ مضامينها بتطورِ الحياةِ الإنسانيَّة، وأخرى أفرزها التَّقدُّمُ الحضاريُّ والاكتشافات العلميَّة. ويجبُ على المتحاورين أن

يُقدِّموا -في قائمة موضوعاتهم- الأهمَّ على المهم، حتَّى يُسهموا في الإسراع بمحاولةِ حلِّ المشاكل التي تتعلَّق بحياة النَّاس، أفرادًا وجماعاتٍ.
وَمِن أهمِّ الموضوعاتِ التي يجبُ بحثها:

*** قَضَايا الإنسَان:**

فقد كرَّمه اللَّه -كما أخبرت بذلك كُلُّ الكتب المُقَدَّسة- ورَكَّزت على تكريمه معظمُ -إن لم يكن كلّ- الاتجاهاتِ الفكريَّة في كلِّ العصور والأزمان، لذا يجبُ أن تُوَجَّه الدَّعوة إلى بحث ما يجب عملُه لحفظِ حياته، أيًّا كان لونه، أو عقيدته، أو جنسه، فلا ينبغي أن يَستعليَ إنسانٌ على أخيه، أو يظلِمَه باغتصاب حقٍّ من حقوقه المشروعةِ: حفظِ النَّفس، والدِّين، والعقلِ، والنَّسل، والمالِ. كذلك لا ينبغي أن يُهان، أو يُذلّ صاحب أيّ ثقافةٍ أخرى على أيِّ مُستَوًى: ثقافيٍّ، أو اقتصاديٍّ، أو سياسيٍّ، أو اجتماعيٍّ، وعليه فيجب أن يكونَ موضوعُ حقوق الإنسان أوَّلَ ما يوضع على مائدةِ الحوار الدِّيني، من حيثُ:
حرية العقيدة، يقول اللَّه تعالى: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" [البقرة: ٢٥٦]، فلا يجوز لأحدٍ أن يفرضَ عقيدته على الآخَر بالقوَّة، بل يُترَك الأمرُ للنَّاس، يعتقدون ما يرونه صحيحًا، دونَ ضغط من أيِّ نوعٍ.
والعدل، يقول تعالى: *"وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ .."* [المائدة: ٨]، ومن مقتضيات العدل حقُّ كُلِّ شعب في أن يعيش في وطنه دون اعتداء عليه من أيِّ نوعٍ، أو مُحَاولةٍ للسيطرة على مقاليدِ أمورِه.
وحرية التَّعبير؛ لأنَّ التَّقييد في هذا المجال يزيد الأمورَ غموضًا، فلا يعرف ما يُكِّنه البعضُ للآخر، وبذلك تنمو الدَّسائسُ والفتن.
والمساواة، فلا فضلَ لأحدٍ على آخَر، وذلك يقتضي الاعترافَ بحقِّ كُلِّ شعب في الموارد الطَّبيعية، بحيثُ تُقَسَّم بالتَّساوي على كُلِّ شعوب الكرة الأرضيَّة، فلا استغلالَ، ولا احتكارَ، وإنَّما تعاونٌ بين النَّاس على تنميةِ الموارد، وتوزيعِها على الشُّعوب، بحيثُ ينالُ كلٌّ ما يضمنُ له حياة كريمة، تليقُ بالإنسان الذي كرَّمه اللَّه.
هذه هي القواعدُ الأساسية في مجالِ حقوقِ الإنسان، ويجبُ على أطراف الحوار الاعترافُ بها، وإعلانُ هذا الاعتراف على الملأ، ثُمَّ يبدأ الحوارُ بين الأطراف للوصول إلى صياغتها في مبادئَ عامةٍ، يلتزمُ الجميع بتطبيقها بكُلِّ الوسائل، حتَّى وإن اقتضَى الأمرُ إنشاءَ تحالفٍ دوليٍّ لفرضها بالقوَّة على مَن يَرفضُها.

*** حقوقُ المَرأةِ:**

من الطبيعي أن تتمتعَ المرأة بكُلِّ ما يتمتع به الرجل، من النَّاحية الإنسانيَّة، فكُلُّ ما يتوصل إليه الحوار الدِّيني في بحثِ موضوع «حقوقِ الإنسان» يَسري على المرأة، ثُمَّ تنفردُ ببحث آخَرَ، ليرفعَ عنها ما يلحقُهَا من ظُلمٍ باعتبارها أنثى، وذلك من حيثُ حقوقها كزوجة، ابتداءً من حقِّها في اختيارِ شريكِ حياتِها، إلى ممارستِها في إدارة شئونِ الأسرة، وتربيةِ أولادها، وحقِّها كمواطنة، لها ما للرجلِ من: تعليمٍ، وعملٍ، ومشاركةٍ في شئون الأمة: الاقتصاديَّة، والسِّياسيَّة، والاجتماعيَّة... وغيرِ ذلك من الأمور التي يمارسُها الرجلُ، مادام ذلك في استطاعتِها.

*** البيئةُ:**

قد يبدو للبعضِ أنَّ هذا الموضوعَ بعيدٌ كُلَّ البُعدِ عن موضوعاتِ الحوار الدِّيني؛ لأنَّ مفرداته من نظافةٍ وتشجيرٍ وأمثالهما لا تدخلُ في نطاق الموضوعات المثيرةِ للجدلِ، والتي تحتاج إلى اتِّفاقٍ بين مُمثلي السُّلطة الرُّوحيَّة، ولكنَّ هذا الفهمَ غيرُ صحيحٍ، فلم تَعُد المشاكلُ البيئيَّةُ قاصرةً على هذا التَّصوُّر، بل امتد نطاقُها، فأصبحت مسألةً دوليَّةً تحتاجُ إلى تضافرِ كُلِّ القُوى، بما فيها المؤسَّسات الدِّينيَّة، ذلك أنَّ البيئةَ مهددةٌ بالمنتجات البيولوجية؛ من أسلحةٍ ومتفجراتٍ، وعلى رأسها الأسلحةُ النَّووية، التي أصبحت أكبرَ هاجسٍ للإنسان، تَقُضُّ مضاجِعَه، وتُهَددُ وجودَه، فهو في قلقٍ دائمٍ، وخوفٍ مستمرٍّ من آثارِ هذه المخترعات، لا من حيثُ توقعهِ لاندلاعِ حرب نوويةٍ فقط، بل من تَسربِ هذه الإشعاعات النَّوويَّة، كما حدث في «تشرنوبيل» قبل عدَّة سنوات، ومن انتشارِ إشعاعاتها بأيِّ طريقٍ آخَرَ، حيثُ تدمرُ الكائناتِ الحيَّةَ المحيطةَ بها، بما فيها من الطَّعام والشَّراب الذي ينقل إليه الأمراضَ والعِلل التي لا تُبقي ولا تَذَر.

ولهذا ينبغي بَحثُ هذا النَّموذج في لقاءاتِ الحوار الدِّيني، واتِّخاذُ قراراتٍ وفتاوى دينيَّةٍ لتحريمِ هذه الصِّناعةِ، ومناشدةُ كُلِّ الدُّول- بلا استثناء، حتَّى الدُّولِ العُظمَى- بالتَّخلص من هذه الصِّناعة كليَّة، وتدميرِ كُلِّ ما لديها من قنابلَ ومتفجراتٍ نوويَّةٍ، ومناقشةِ السُّبُل التي يمكن أن تتخذَها كُلُّ المؤسَّسات الدِّينيَّةِ لتخليصِ العالَم من هذا الكابوس الذي يجثم على صدورِ النَّاس، حتَّى يشعرَ الإنسانُ بالأمنِ والسَّلام، فتهدأ نفسُه ليتفرغَ للإبداع في المجالاتِ التي تساعدُهُ على التَّطور الحَضَاريِّ، وتعيش كافَّةُ الشُّعوبِ في أمنٍ واطمئنانٍ.

*** توزيعُ الثَّرَواتِ:**

لاشكَّ أنَّ اللَّه -سبحانه وتعالى- خَلَق الأرضَ، وأودعَ فيها ثرواتٍ متعددةً؛ ليستخدمها الإنسانُ في حياته، وعليه فلا يجوز لشعبٍ أن يحتكرَ هذه الثرواتِ،

ويحرمَ منها الآخَرين، كما هو واقعٌ اليوم في عالمنا المعاصر؛ إذ يستأثرُ ٢٠ من سُكَّان الأرضِ بـ٨٠ من هذه الثرواتِ. وهذا ظُلمٌ يجبُ رفعُه عن المحرومين من التَّمتع بثرواتِ الكُرَة الأرضيَّة.

وعليه فيجبُ على المؤسَّسات الدِّينيَّةِ بَحثُ هذا الموضوع في لقاءاتِ الحَوارِ الدِّينيِّ؛ للوصولِ إلى قواعدَ تُعطِي كُلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فلا ظُلْمَ، ولا احتكارَ، ولا استغلالَ، بل تعاونٌ، وتضافرٌ للجهودِ، حتَّى يكون هناك توازنٌ بين الشُّعوبِ في الانتفاعِ بهذه الثرواتِ، كُلٌّ حَسبَ طاقتِهِ، ولا يُحرَم منها مَن لم تؤهله طاقتُه وعملُه بل يأخذُ ما يكفيه في حياتِه، حتَّى ولو اقتضى الأمرُ إنشاءَ صُندوقٍ لمساعدةِ الشُّعوب الضَّعيفةِ -وكذلك الأفراد- ليعيشوا عِيشةً إنسانيَّةً كريمةً.

هذه نماذجُ فقط من القضايا التي يجبُ أن تُطرحَ على مائدةِ الحوارِ الدِّينيِّ؛ إذ ممَّا لاشكَّ فيه أنَّ هناك العديدَ من القضايا والمشكلاتِ التي يجبُ بحثُها، فعلى المُكَلَّفينَ بالتَّحضيرِ لهذه النَّدواتِ والمؤتمراتِ حَصرُ قضايا العصرِ التي تحتاجُ إلى بحثٍ، ووضعُهَا في قائمةٍ حَسبَ أهميتِها بالنِّسبَةِ لحياةِ الأفرادِ، وضرورتِها لاستقرارِ المجتمعاتِ الإنسانيَّةِ وأمنِهَا.